منشورات مركز الإمام الألباني : (١)
ذو الحجة (١٤٢١هـ)

وجاؤوا يركضون... مهلاً يا (دُعاةَ) الضلالة !!

الإسلام .... وتكسير الأصنام

إعداد
لجنة البحث العلمي ، وتحقيق التراث الإسلامي

مركز الإمام الألباني
للدراسات المنهجية ، والأبحاث العلمية
عمان ـ الأردن
تلفاكس : (٠٠٩٦٢ـ٦ـ٥٠٥٤٠٥٣)

الحمدُ لله وحدَه، والصلاةُ والسلامُ على مَن لا نبيَّ بعده.

أمّا بعد: فقد أخرج الإمامُ مسلمٌ في «صحيحه» (برقم٩٦٩) -بسنده- إلى أبي الهَيّاج الأَسَدي؛ قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثُك على ما بعثني عليه رسولُ الله ﷺ: «أن لا تَدَعَ تمثالاً إلا طَمَسْتَهُ، ولا قبراً مُشْرِفاً إلا سوَّيته»؟!، وفي لفظٍ له -عَقِبَهُ-: «ولا صورة إلا طمستها»، وفي لفظٍ للطبرانيِّ في «المعجم الصغير» (١٥٢)، و«المعجم الأوسط» (٢٠٥٩): «لا تَدَع تمثالاً إلا كَسَرْتَه»، وفي لفظٍ للبيهقي في «السُّنن الكبرى» (٤/ ٣): «ولا تمثالاً في بيت إلا طمسته».

ولفظةُ (تمثال) نكرةٌ في سياق العموم؛ فتشملُ كلَّ تمثال بلا استثناء، وهذا ما جاء في لفظٍ لأحمد في «المسند» (١/ ٨٩، ١١١): «أمرني أن أُسَوِّي كلَّ قبر، وأطمس كلَّ صَنَم».

وهذا لفظٌ قويٌّ، واضحٌ جليٌّ؛ فلا يجوزُ العدولُ عنه بالاحتمالات والأوهام والظنون، التي يروّجها -اليوم- المنهزمون أمام المَدَنِيّة المادية، المنبهرون بِعَدَدِها وَعُدَدِها؛ المدافعون -زعموا!- عن كفريّات بعض الأمم السابقة، وشِركيّاتها تحت اسم (الآثار) و (التُّراث)!!

والعجب أنَّ بعضاً ممّن يدّعون (العلمَ)، وينتسبون إلى (الثقافة) يحتجُّون (!) بوجود أصنام في عددٍ من البلدان (الإسلامية) التي دخلها بعضُ الصّحابة، فتوهّموا أنهم -رضي الله عنهم- رَأَوْها وأقرُّوها، وما علموا: أن البعثات الأثرية الصليبية هي التي نقَّبت عنها، وأظهرتها، وروّجت لها، وما علموا: أن أعداء الإسلام هم الذين

أسَّسوا لها (هيئات)، و(جمعيات)، و(منظمات) تدافعُ عنها وتحميها!!.

ولا نرى هذا الإسقاط الكاسِد إلا بسبب ذاك السقوط الفاسِدِ في الانبهار المقيتِ بمدنيّة الغرب -سيِّئها قبلَ حَسَنِها!- فتراهم يتركون (المُحْكَم) (المنصوص) عليه -الأكيد-، ويعملون بأمر (متشابه) بعيد ، و(محتمل) غير سديد!

مع أنه قد ثبت في «صحيح مسلم» (٢/ ٦٦٦) عن ثُمامةَ بن شُفَيّ -رضي الله عنه-، قال: كنا مع فَضَالةَ بن عُبيدٍ بأرض الروم -برودُس-؛ فتوفّي صاحبٌ لنا، فأمر فَضَالةُ بقبرِهِ فَسُوِّيَ، ثم قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يأمرُ بتسويتها.

وهذا الأمر -من نبينا ﷺ- صيانةٌ لِجَنَاب التوحيد، وحِمايةٌ لقاعدة العقيدة؛ فتحطيمُ الأصنام -تحت أيِّ اسمٍ كانت! وفي أيِّ قُطرٍ وُجدت-! أمرٌ لا بُدَّ منه من باب أَوْلى؛ قال الإمام ابن القيِّم -رحمه الله- في «زاد المعاد» (٣/ ٤٥٨): «وأما محلُّ الصور، فَمَظِنَّةُ الشرك، وغالب شرك الأمم كان من جهة الصور والقبور».

وقد ذكر -رحمه الله- ذلك في معرض الفوائد الفقهية المستنبطة من خبر فتح مكة، وقد ثبت في «الصحيحين» -ضِمنَها-: «ثم طاف ﷺ بالبيت، وفي يده قوسٌ، وحول البيت -وعليه- ثلاثُ مئة وستّون صَنَماً، فجعل يَطْعَنُها بالقوس، ويقول: ﴿جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١]، ﴿جَاءَ الحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ البَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ:٤٩]، والأصنام تتساقطُ على وجهها».

وبوّب الإمام النوويُّ -رحمه الله- على حديث مسلم -هذا- وهو فيه برقم (١٧٨١) -في «شرحِهِ»- بـ (باب إزالة الأصنام من حول الكعبة).

وقد ذكر الإمامُ ابنُ القيّم -رحمه الله- في «زاد المعاد» كلاماً في التّعليق على خبر آخر في تَحطيم الأصنام -وتكسيرها-؛ يفرحُ به الموحّدون، قال -رحمه الله- (٣/ ٥٠٦ــ٥٠٧): «لا يجوز إبقاءُ مواضع الشرك والطواغيت (بعدَ القُدرةِ على هدمِها وإبطالها) يوماً واحداً؛ فإنَّها شعائرُ الكفر والشرك، وهي أعظمُ المنكرات، فلا يجوزُ الإقرارُ عليها مع (القدرة) ألبتّة.

وهذا حكمُ المَشاهِد التي بُنيت على القبور التي اتُّخذت أوثاناً وطواغيتَ تُعبد من دون الله، والحجارِ التي تُقصَدُ للتعظيم والتبرُّك، والنَّذْر والتقبيل؛ لا يجوزُ إبقاءُ شيء منها على وجهِ الأرض مع (القدرة) على إزالته، وكثيرٌ منها بمنزلة اللاتِ والعُزّى، ومَناةَ الثالثةِ الأخرى، أو أعظم -شركاً عندها-، وبها-، والله المستعان.

ولم يكن أحدٌ من أرباب هذه الطواغيتِ يعتقدُ أنها تَخلق وترزق، وتُميت وتُحيي، وإنما كانوا يفعلون عندها -وبها- ما يفعله إخوانُهم من المشركين -اليوم- عند طواغيتهم، فاتّبع هؤلاء سَنَنَ من كان قبلهم، وسلكوا سبيلَهم حذو القُذَّة بالقُذَّة، وأخذوا مَأْخَذَهم شِبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وغَلَبَ الشركُ على أكثر النّفوس؛ لظهور الجهل، وخفاء العلم، فصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والسُّنَّة بدعة، والبدعة سُنَّة، ونشأ في ذلك الصغيرُ، وهَرِمَ عليه الكبيرُ، وطُمِست الأعلامُ، واشتدّت غربةُ الإسلامُ، وقلَّ العلماءُ، وغلب السفهاءُ، وتفاقم

الأمرُ، واشتد البأسُ، و﴿ظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾، ولكنْ لا تزالُ طائفةٌ من العِصابةَ المحمّدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين، إلى أن يَرِثَ اللهُ -سبحانه- الأرضَ ومن عليها، وهو خيرُ الوارثين».

نعم؛ ما زالت طائفةٌ ظاهرةٌ على الحق، تجاهد بنوره، وتصدع بحقّه، يحمِلون هذا العلمَ الذي هو الدينَ؛ ينفون عنه تأويلَ الجاهلين، وانتحالَ المبطلين، وتحريف الغالين.

ولَمّا كان التاريخُ مِرآةً للواقع، وعبرةً للناظِر؛ رأينا أن نَضَعَ بين أيدي إخواننا الكرام بعضَ الأخبارِ التاريخيةِ المشابهةِ للحَدَثِ الذي نعالجه، ونبيِّن الحكمَ الشرعيَّ فيهِ، وقامت على إثره وسائل الإعلام -ولم تقعد!-، وملأت الدنيا ضجيجاً، ألا وهو: خَبَرُ كسر أضخم تمثالين -بل صنمين!- لِـ(بوذا) -إلهِ البوذيين المعبود- في العالم.

وقد استمالت هذه (الضجّة) (أُناساً) نطقوا باسم (الدين)، وتكلّموا بلسان (الشرع المبين)، بغير علمٍ ولا يقين؛ (قد) يكونُ كثيرٌ منهم ذوي نيّة حسنة(!)، ولا ننفي ضِدَّها من بعضِهم (!)، ولكنّ النيّة الحسنة لا تجعلُ البَاطِلَ حقّاً!! فأفتى (هؤلاء) مُسارعين بمنع ذلك! ويا ليتهم سكتوا، فإن أكبر أعوان الظالمين: سكوتُ الصالحين، ونُطْقُ الطالحين! بل (طاروا) إلى بلاد الأفغان! وتهافتوا عليها تهافُتَ الفراشِ في (النّار)؛ لإنقاذ (الأصنام) تحت اسمِ (الآثار)!!!

وهذا الخبرُ الذي سنورده قديمٌ، وفيه درس للصادقين، قام به بعض الولاة (العادلين) من ولاة المسلمين، ذكره الإمام ابن كثير (المتوفّى سنة ٧٧٤هـ) في

(حوادث سنة ثمان عشرة وأربع مئة) من كتابه «البداية والنهاية» (١٢/ ٣١-٣٢)، قال:

«وفيها ورد كتابٌ من محمود بن سُبُكْتِكين [وهو فاتح الهند، وصفه ابن كثير بـ (الإمام العادل، يمين الدولة، وأمين الملة، وقد توفّي سنة (٤٢١هـ)]، يذكر أنه دخل بلاد الهند -أيضاً-، وأنه كسر الصنمَ الأعظمَ الذي لهم المسمى بـ (سومَنات)، وقد كانوا يَفِدُون إليه من كلِّ فَجٍّ عميق! كما يَفِدُ النّاسُ إلى الكعبة البيت الحرام وأعظمَ، ويُنفقون عنده النفقاتِ والأموالَ الكثيرة، التي لا تُوصَف ولا تُعَدّ، وكان عليه من الأوقاف عشرةُ آلاف قرية ومدينة مشهورة، وقد امتلأت خزائنُه أموالاً، وعنده ألفُ رجلٍ يخدمونه، وثلاثُ مئة رجل يحلِقون رؤوسَ حجيجه، وثلاثُ مئة رجل يغنّون ويرقصون على بابه لَمّا يُضْرَب على بابه(!) الطبولُ والبوقات(!)، وكان عنده من المهاجرين ألوفٌ يأكلون من أوقافه، وقد كان البعيدُ من الهنود يتمنّى لو بلغ هذا الصنمَ، وكان يَعُوقُهُ طولُ المفاوز، وكثرةُ الموانع والآفات، ثم استخار اللهَ السلطانُ محمودٌ لما بلغه خبرُ هذا الصنمِ وعُبّادِه، وكثرةِ الهنود في طريقه، والمفاوز المُهلِكة، والأرضِ الخَطِرة، في تجشُّم ذلك في جيشِه، وأن يقطعَ تلك الأموالَ إليه، فندب جيشَه لذلك؛ فانتُدِب معه ثلاثون ألفاً من المقاتلة، ممّن اختارهم لذلك، سوى المتطوّعة، فسلّمهم اللهُ حتى انتهَوْا إلى بلد هذا الوَثَن، ونزلوا بساحةِ عُبّاده، فإذا هو بمكان بقَدْرِ المدينة العظيمة، قال: فما كان بأسرعَ مِن أن مَلَكْنَاه وقتلنا مِن أهلِهِ خمسين ألفاً، وقَلَعْنا هذا الوثنَ، وأَوقدنا تحته النار.

وقد ذكر غيرُ واحدٍ: أن الهنودَ بذلوا للسلطانِ محمودٍ أموالاً جزيلةً؛ ليترك لهم هذا الصنمَ الأعظمَ!! فأشار مَن أشار مِن الأمراء على السلطان محمودٍ بأخذ الأموال وإبقاء هذا الصنم لهم(!!) [ما أشبه اليومَ بالبارحةِ!]، فقال: حتى أستخيرَ اللهَ -عزّ وجلّ-، فلما أصبح، قال: إني فكّرت في الأمرِ الذي ذُكر؛ فرأيتُ أنه إذا نُوديتُ يوم القيامة: أين محمودٌ الذي كَسَرَ الصّنمَ؟ أحبُّ إلي من أن يقال: الذي ترك الصنمَ؛ لأجل ما ينالُه من الدنيا! ثم عزم، فكسَرَه -رحمه الله-، فوجد عليه -وفيه- من الجواهرِ واللآلئ والذهبِ والجواهرِ النفيسةِ ما ينيفُ على ما بذلوه له بأضعافٍ مُضاعَفة [وَصَدَقَ رسولُ الله ﷺ: «من ترك شيئاً لله: عوّضه اللهُ خيراً منه»]، ونرجو اللهَ له في الآخرةِ الثوابَ الجزيلَ الذي مِثقالُ دَانَقٍ منه خيرٌ من الدنيا وما فيها، مع ما حَصَلَ له من الثناء الجَميل الدُّنيوي، فرحمه اللهُ وأكرَم ثوابه».

وذَكَرَ هذا الخبرَ -أيضاً- الإمامُ الذَّهبيُّ في «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٤٩١)، وابنُ الأثير في «الكامل» (٩/ ٣٤٢)، وابنُ الجوزي في «المنتظم» (٨/ ٢٩) -وغيرهم-.

ولقد نقل العلامةُ ابنُ خَلْدون (المتوفى سَنَةَ ٨٠٨هـ) في «مقدّمته» - المشهورة - (٢/ ٥٥٦) أنَّ الخليفةَ هارون الرشيد عَزَمَ على هَدْمِ إيوانِ كِسرى وتخريبِه، لكنّه ضَعُف عنه، وعَجَزَ دونه...

ونقل - أيضاً - (٢/ ٨٥٠) محاولةَ المأمونِ هَدْمَ أهرامِ مصر، وجَمْعَه الناسَ لذلك، ثمّ عَجَزَ -أيضاً- عن

ذلك، ولم يقدر على شيء ممّا هنالك؛ سوى ثُقْبٍ صغيرٍ في بعض جوانبِه...

ونَقَل العلامةُ عبدُ اللطيف البغدادي (المتوفى سَنَةَ ٦٢٩هـ) في كتابه «الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهَدة والحوادث المُعايَنة بأرض مصر» (ص٤٤) خبرَ تهديم بعض الأهرامات الصغيرة - في الجيزة - في عهد النّاصر صلاح الدين الأيُّوبي، على يَدَي الوزير قَراقوش...

وبعد:

فإنَّ المُوحِّدين يَفْرَحُون بتحطيم الأصنام؛ على اختلافِ أشكالها، وحجُومها، وأماكن وجودها، وزمان حُدوثها، وتعدُّد أسمائها...

وينبغي أن يكون ذلك -كلُّه- ضمن قواعدِ فقهِ الدعوةِ المستنبطِ من الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة؛ وهي:

* أن يُفتي بذلك العلماءُ الربانيُّون حماة التوحيد وحُرّاس العقيدة.

* القدرةُ على إزالة المنكر بحيث لا يُفضي إلى منكر أعظم، أو يثير فِتناً لا تُبقي ولا تذر.

* أن يتولّى ذلك أولو الأمر ممن ولاّهم اللهُ أمرَ المسلمين.

ولْيُنظر كتابُ «إعلام الموقّعين» (٣/ ٤-٥) للإمام ابن القيِّم -رحمه الله-.

ونقول -ثمَّة- لمن شَغَلَ الرأيَ العامَّ -والخاصَّ!- بتحطيمِ أكبرِ أصنامِ العالَمِ- ونرجو أنْ يكونَ ذلك منهم (تديّناً)، لا (سياسةً)!! وإلا لَحطّموا هذه الأصنام -كما يُقال - في ليلةٍ لا قمرَ فيها!! وعلى القاعدة النبوية

الإبراهيميّة: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُم هَذَا﴾!- ولم يُفرّقوا بين الأصنام البوذيّة والهندوسيّة، فحطّموا الأولى، وتركوا الأخيرة!! ألَم يَأْنِ لكم -إنْ أردتم الحقَّ الصُّراح- أن تتنبّهوا إلى ما عندكم من (قُبور)، و(قِباب)، و(مشاهدَ)، و(مقاماتٍ)؛ تُمارَس عندها كثيرٌ من (العبادات) الشركية التي ليس للإسلام فيها نصيب!! من طوافٍ بها، وصلاةٍ لها، وتَوجُّه إليها، ودُعاء عندها، وذبحٍ ونذرٍ لها، مثل: (مزار شريف!!) وأشباهِه؟!

فـ(تكسيرُ الأصنام) و (تسوية القبور) جاء ذكرُهُما في خبر واحد، فلماذا يُعمل بالأوّل، ويُنسى -بل يُتناسى- الثاني؟! هذا تحكُّمٌ وقولٌ بالتّشهّي، ولا سيما -إذا علمتَ- أخي -حفظك الله ورعاك- «أن كثيراً من الجهاد في (أفغانستان) كان بقيادة القبورية» -وللأسف الشديد-؛ كما قال الشيخ الدكتور شمس الدين الأفغاني -رحمه الله- في كتابه العُجاب «جهود علماء الحنفيّة في إبطال عقائد القبوريّة» (١/ ٤٥٩)، وأهلُ الدار أدرى بمن فيها، وأعرفُ بمكنوناتها وخوافيها!!

فأهلُ أفغانستان مذهبُهم -أيّدهم اللهُ بالحق- مذهب الإمام أبي حنيفة، وللحنفيّة جهودٌ مشكورةٌ في إبطال عقائد القُبوريّة، كما بيّن ذلك بما لا مزيدَ عليه العلامةُ الشمسُ الأفغانيُّ -رحمه الله- في كتابه المذكور.

فيا تُرى! بمَ نفسّر تعصُّبَهم للمذهبِ وللقبوريّين في آن -وهما ضدّان-؟! مع حماسهم بتكسير الأصنام والأوثان؟!

هل هو -منهم- حرصٌ على عقائد المسلمين وأهل الإيمان؟! أم هي السياسةُ الوضعيّة: القائمةُ على المصالح

الوقتيّة، والمكاسب الأرضية، والمنافع الآنيّة؟! وليتهم حقّقوا شيئاً من ذلك!!

... لقد آنَ لأهلِ التوحيد، وعُلماء العقيدة؛ أن ترتفع بالحقِّ أصواتهم؛ لِتُنادِي بالنكير على هذا الحدَث الجَلَل؛ الذي يُروَّجُ فيه (الكفرُ) باسمِ (الإسلام)، و(الوثنيّةُ) باسْمِ (الحضارة)، و(الشركُ) باسْمِ (التُّراث)؟!

وأين هي الوفودُ السائرة، والرؤوسُ (الطائرة) -المتسارعةُ إلى كابول!- يومَ أنْ هُدم المسجدُ البابَريُّ في الهند؟!

وأين هي -الآنَ- من المحاولات اليهوديَّة -طويلةِ النَّفَس!- في تقْويض أركان المسجد الأقصى؛ تمهيداً لهدمِهِ!؟

وأين هي من قضايا المسلمين المُشتعِلة في أرجاء الدّنيا؛ وبخاصَّةٍ الجريحةَ فلسطين؟!

والله -وحده- المستعان.

﴿ربنا لا تؤاخذنا إنْ نَسِينا أو أخطأنا ربَّنا ولا تحمِل علينا إصراً كما حمَلْتَه على الذينَ مِنْ قبلنا ربَّنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا بهِ واعفُ عنا واغفرْ لنا وارحمنا أنتَ مَوْلانا فَانصرنا على القوم الكافرين﴾.